Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فى الكلام» و«شرح الشمسية فى المنطق» والشريف الجرجانى على بن محمد (ت ٨٢٦) أستاذ فى البحث والجدل والفلسفة ، ومن كتبه «شرح حكمة العين» و«شرح كتاب المواقف فى الكلام» وكان من الضرورى إذن ان ينعكس تكوينهم الذاتى -عن قصد أو غير قصد- على مجهودهم البلاغى ، فكانت تلك التركة البلاغية التى تعلم كل شيء إلا البلاغة .

- على أن فكرة «مقتضى الحال» نفسها التى قامت عليها دراسة البلاغة - كما سبق - فكرة دخيلة عرفت عن أرسطو ، وقد ذكر ذلك الدكتور ابراهيم سلامة - وهو مترجم كتاب : الخطابة لأرسطو - إذ قرر أن هذا مبدأ أقره أرسطو ، فما كان يسمح ان يتكلم فى الخطابة القضائية بما هو ملتصق بالخطابة السياسية ، بل طالب الخطباء بمراعاة الجنس والسن والحالة العقلية للسامعين - فلا تكلم النساء بما يكلم به الرجال ، ولا يكلم الشباب بما يكلم به الشيوخ ، ولا يكلم الجاهل بما يكلم به المتعلم [١] .

- ونتيجة لهذا السبب الرئيسى من عيوب البلاغة ، يجيء سبب آخر هو «قصور الدراسات البلاغية عن مجاراة الأدب» ذلك أن الأدب فن يتطور باستمرار، فى موضوعاته وأشكاله ، وهذا يستدعى بدوره دراسة متطورة تلاحقه بالتفسير ... والتنوير ، وهذا لم يحدث للبلاغة فى عصورها المتأخرة ، لأن طبيعة دراستها - كما وصلنا - منفصلة عن الأدب من ناحية ، ولأن الجهود بعد ذلك اتجهت للتلخيص والشروح والحواشى من ناحية أخرى ، فلم تصبح المادة المدروسة هى الأدب ، بل أصبح المدروس المشروح هو مجهودات السابقين المقيدة بشواهد محدودة ، يرددها الخلف بعد السلف ، ولست أغالى إذا قلت : إنها قد انتخبت عن قصد لتصلح ميدانا للأخذ والرد والمجهود الذهنى الرائع فى غير ما يستحق الروعة . ولو أوردت هنا بعض هذه الشواهد لكان فيها ما يثير ابتسامة الغيظ ومرارة الأسف !!

- وهناك عيب آخر فى الإطار الذى وضعه البلاغيون لدراستهم إذ لم يضعوا فى اعتبارهم دراسة النص وحدة متكاملة ، بل جعلوا هذه الدراسة تدور حول المفردات والجمل منفصلة عن روح النص ومضمونه ، فالبحث فى المعانى إنما هو بحث فى طرفى

---

(١) راجع : بلاغة أرسطو بين العرب واليونان صـ ٣١ .